في ذكرى قيام الدولة اليهودية على أرض فلسطين

alqawmi.com

نسف مقر الوكالة اليهودية في فلسطين عام 1948

«إنّ الخطر اليهوديّ على فلسطين هو خطرٌ على سورية كلّها، هو خطر على جميع هذه الكيانات.» سعاده، 1947

"فإنّ ملاكي يسيرُ أمامَكَ ويجيءُ بك إلى الأمُوريّين والحثّيّين والفرزّيّين والكنعانيّين والحوّيّين واليَبُوسيّين، فأبيدُهُم... وأجعلَ تُخُومَكَ من بحر سُوفٍ إلى بحر فلسطينَ، ومن البرّيّة إلى النّهر. فإنّي أدفعُ إلى أيديكُم سكَّان الأرض، فتَطردُهُم من أمامك. (توراة اليهود، سفر الخروج 23: 23 و 31)

في الذكرى الـ 71 لقيام الدولة اليهودية على أرضنا نتأمّل في هذه الجريمة العظمى، ونتساءل عن الفرق بين الرؤية الظاهرية إليها وبين باطن أهدافها. فهل المسألة الفسطينية إزاء التقسيم هي مجرّد خلاف بين طامح له أو مؤيّد لوحدة فلسطين كما شهدنا ونشهد؟ وهل كان تقسيم سورية في سايكس – بيكو بدافع آخر غير الاستيلاء على مناطقها الجنوبية، ولاحقًا على كلّ أرضها بعد أن يكون التقسيم قد أتاح لليهود إمكانية الثبات في فلسطينها؟

بدءًا من تمرير أسماء المتنوّرين السوريين إلى جمال باشا اليهودي العثماني السفّاح ليعلّق مشانقهم في طول البلاد وعرضها، كان الهدف المخفيّ هو التأسيس لدولة اليهود في فلسطين، وإنّ الذي أبرم اتفاقية سايكس – بيكو ثم حصل على تصريح بلفور لم يكن ليُنجز هاتين الجريمتين لو لم يكن قد أيقن بقدرته على إدارة كلّ الأحداث اللاحقة في سورية تحت جناحي بريطانية وفرنسة.

فبصماتٍ يهودية سافرة أُقرّت الاتفاقية وقُطِع وعد بلفور، وقامت على خلفية هذين الحدثين الدولة – الجريمة في ظلال قوى عظمى، وبهذا السقوط المدوّي من "عالم الإنسانية الأدبي" أُعلن، وبانحطاط لم يعرفه التاريخ الحديث ولا القديم، "نشر الفوضى الخلاقة" من على منبر وزيرة خارجية الولايات المتحدة (كونداليزا رايس) فدُمّر العراق عن بكرة أبيه، وشُتّت جيشه، ثم شنّت حملة اغتيالات متفجّرة متنقلة فيه، فأزهقت حياة ما يقارب الثلاثين ألف عالم وخبير وأستاذ جامعي، وقبل أن تنتهي مفاعيل هذا الدمار الشامل، المخطّط، المنظّم، المعلَن، تحوّلت دفّة التخريب إلى الشام بعد أن سبقتها دفّة الهلاك اللبنانية الغنيّة عن التعريف، فاجتمعت كلٌّ من نكبة فلسطين وحروب لبنان والعراق والشام التي لا نزال نعاني من نارها وتبعاتها، ولا نعلم متى يعمّ الوعي القومي الكفيل بإزالة أسبابها وتحويل مساراتها إلى قوة حيّة خيّرة تنتشر في هذا العالم العطشان إلى هدايتها وأخلاقها بعد أن عاثت فيه طويلًا أضاليل اليهود ومفاسدهم التخريبية.

بتقسيم فلسطين أو بوحدتها، فأنْ نقبل بالتنازل عن شبر واحد منها، يعني، في يقيننا، أنه لن يبقى لنا شبر واحد من سورية الطبيعية كلّها.

المركز في 15 أيّار 2019

لتحيَ سورية وليحيَ سعاده

عمدة الإذاعة